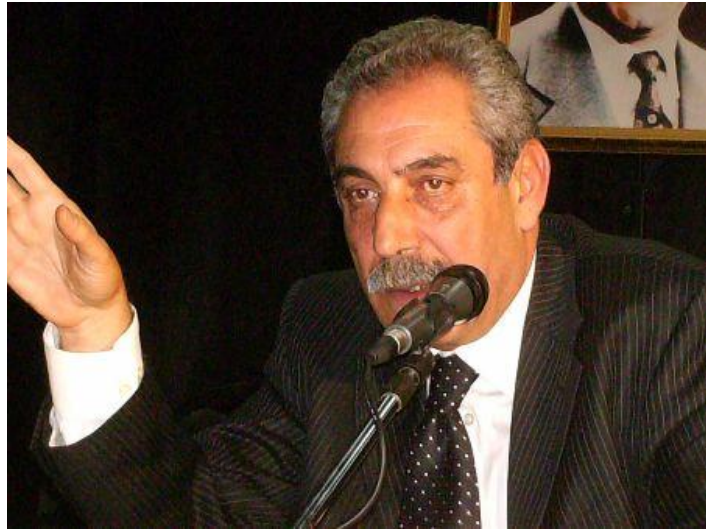


الطائفي

السبت, 08 نوار 2010

إلغاء الطائفية مدخل إلى الإصلاح والتغيير وحزبنا قذوة في تذويب الانتماءات المذهبية والطائفية



نفي عضو المجلس الأعلى الرئيس

السابق للحزب السوري القومي الاجتماعي جبران عريجي معاني الديمقراطية عن الظواهر التي يحاول النظام السياسي في لبنان تقليد الغرب بها والزعم بانتمائه إلى منظموتها الديمقراطية، وإذ دعا إلى المسارعة في الشروع بعملية الإصلاح السياسي من بوابة إلغاء الطائفية السياسية، رأى أن تأخير هذه العملية لن يلبث أن يدخل البلد في دوامة أزمات أشد هولاً مما شهدناه في السابق.

عريجي الذي ألقى مداخلة بمناسبة افتتاح تنفيذية راشيا في الحزب السوري القومي الاجتماعي، مكتبة لعموم الناس، رأى أن لا حرب وشيكة على لبنان وسوريا، على الرغم من التهديدات والتهويلات الأميركية و"الإسرائيلية"، ودعا العرب إلى الإفادة من الأزمة الوجودية التي يمر بها الكيان الصهيوني حالياً، من خلال خطة قومية مؤسسة على رؤيتهم لمصالحهم المستقبلية ومكانتهم بين الأمم والبناء على فشل أعدائهم كما حدث في لبنان والعراق.

سعادته والمعرفة

قدم عريجي مداخلته بإبراز مكانة الكتاب والعلم والثقافة لدى الحزب السوري القومي الاجتماعي، فقال "عندما يدعى السوري القومي الاجتماعي إلى المشاركة في افتتاح مكتبة، فأول ما يتبادر إلى ذهنه أن حزبه تأسس انطلاقاً من الكتاب، بخلاف بعض الأحزاب في الشرق التي تأسست ومن ثم فتشت عن كتاب يشرعن وجودها. وفضيلة التأسيس على الكتاب هي التي شيّدت البناء الحزبي المكين لحركة النهضة القومية الاجتماعية ووفرت الأصالة الفكرية للأمة. حتى أن ريادة أنطون سعادته وزعامته تحققت من خلال الاستفتاء حول الكتاب الذي قدمه لشعبه، وهذا ما يجعلنا نقول، نحن لم نختر أنطون سعادته بوصفه شخصية قيادية ساحرة لها كاريزما خاصة، بل اقتنعنا بزعامته كرتبة قيادية من خلال الكتاب".

وأضاف "هنا، تبرز مسألة مركزية تتعلق بشرعية الحزب وهي اهتمامه بالمعرفة، المعرفة التي شكلت مدمكاً أساسياً في منهجية العمل، فالمجتمع عند سعادته هو معرفة، والمعرفة قوة، وقد لاحظنا فيما بعد انتباه العالم لقيمة مصطلح "مجتمع المعرفة"، ففكر أنطون سعادته تأسس على منهج علمي، ومن الطبيعي أن يكون العلم مفتوحاً على كل علم جديد، وبتنا نسمع باقتصاد المعرفة، بتقنية المعرفة، وصار مصطلح المعرفة معمماً على مجمل الإنجازات الحديثة والمعاصرة مع تسجيل تحفظنا على الغاية من استخدام هذه المصطلحات في سلة ترويج العولمة الأميركية".

ويشدد عريجي على "أن سعادته لم يهدف إلى قيام كتل سياسي، أو حركة سياسية اعتيادية، بل كان مرتكزه الأساسي هو قيام مشروع نهضوي، وهنا تكمن الصعوبة الكبرى، فالمشروع النهضوي يتأسس على الإلتزام الحر الصعب، وليس على الإلتزامات السهلة، لذا، نلاحظ التنامي السريع لبعض التيارات السياسية، لأنها ارتكزت على مفهوم الإلتزام السهل، لعل عمق الإشكال الأساسي في هذه البلاد هو أن معظم تياراتها السياسية لا تسعى إلى إحداث تحولٍ جدي في المجتمع، فنكتفي بالإلتزام السهل وتقييم عليه بناءها السياسي الهش".

مهمة التغيير والأحزاب

ويلفت عريجي إلى أن هذا الإلتزام الصعب هو الذي جعل الحزب متصلباً في انتقاء الأحرار في انتمائهم، وقال "البناء السياسي في الحزب السوري القومي الاجتماعي يحتاج إلى انتماء حر، محصن

بالفكر والمعرفة والمنهج النقدي، لهذا السبب فإن كل كلام عن مجتمع مدني في لبنان أو في أي من كيانات الأمة لا يتوفر إلا على قاعدة الانتماء الحر، ومن هنا فإن معظم ما يسمى المنظمات المدنية هي في الواقع ليست منظمات مدنية، بل هي منظمات أهلية كونها الابنة المطيعة للبنى التقليدية المتوارثة وروابط العائلات والطوائف.

وبعد أن نزع عن هذه المنظمات دورها النقدي وأهلية النهوض بمهام التغيير والإصلاح التي يحتاج إليها البلد، أكد عريجي على سياسية هذه المهام، واشترط للنهوض بها إلغاء الطائفية، وقال " كل كلام عن إصلاح من دون إلغاء الطائفية هو سراب وخيال سياسي، وبالتالي مناورة، حتى لا نقول أنها مرحلة ما، تأخذ شكل الانتهازية، لذلك، فإن بوابة العبور إلى الإصلاح الحقيقي والإلزامي هي بإلغاء الطائفية، ولن يتم ذلك إلا إذا كان مسبوقة بالتعبئة الفكرية والثقافية والتعليمية ."

واستعداد عريجي تجربة حزبه في تذويب الانتماءات الطائفية لأعضائه في عقيدة سعادة من دون المس بإيمانهم الديني وقال: "لم يتخذ الحزب قراراً أو وضع شرطاً يقول حتى تتمكن من أن تكون قومياً اجتماعياً عليك أن لا تكون طائفيًا، غير أن الثقافة الفكرية التي بنت وعيه العقائدي هي التي شكلت مسار انتقال المقبل على الدعوة من واقع طائفي إلى واقع مدني قومي من دون اقتلاعه من كنيسته بالمعنى اللاهوتي ولا من محمديته بمعناها الرسالي".

علمانية الحزب السوري القومي الإجتماعي

ورفض عريجي التعريف المتداول والمعرض للعلمانية، وقال "ليس صحيحاً، ان كل علمانية تعني إلحاداً، فالعلمانية ليست التزاماً ايديولوجياً يؤدي إلى تشكيل دين جديد، ولا هي ضد الأديان كأديان، كل ما طرحته من خلال مفهومنا الفكري، وبكل بساطة هو كيف نفصل الدين عن السياسة، وبالمناسبة لا تسعى علمانية أنطون سعادة إلى فصل الدين عن المجتمع، بل تسعى لفصل الدين عن الدولة، لأنها تؤمن إيماناً عميقاً بأن القيم الدينية لا تحتاج إلى نظام سياسي يدين بدينها، هناك نوع من الخلط ان القيم الدينية تحتاج إلى نظام سياسي ديني يحميها، وبإمكان الأديان ان تنتشر وتصلح من دون أن تسعى إلى إقامة نظم سياسية دينية، فالعلمانية توفر إطاراً ناظماً يحترم حقوق كل المكونات، وبالتالي تطلق مفهوماً كافلاً لحرية الفرد بأن يعيش معتقده، وبالتالي يمارس إيمانه. إن العلمانية تحرر الدين من قبضة الدولة، كما أنها تحرر

الدولة من سطوة الطائفي".

واستعرض عريجي بشكل موجز ما جرته الطائفية على لبنان من ويلات وما أضاعته من فرص من أمام اللبنانيين "لقد وقع اللبنانيون في شرك الطائفية منذ استقلال لبنان، فحالة المؤقت التي تدعي الحرص على التوازنات الطائفية (في المادة 95 من القانون اللبناني) تحولت إلى مادة أساسية، حيث تأبد المؤقت عملياً في البلاد، وتم احتجاز إصلاحات الطائف ضمن منطلق هذه المادة".

وأشار إلى ما هو أدهى من هذا الاحتجاز، عندما تم التلاعب بالبوصلية الإصلاحية للطائف "وهنا حصل أمر انتقلت بموجبه (اتفاق الطائف) السلطة الإجرائية كاملة إلى مجلس الوزراء في العقدين الأخيرين، وهذا ما أوقع بعض رؤساء وزراء هذه المرحلة في مطب المارونية السياسية دون أن يدروا، وبدل ان يصبح الحكم في يد قيادة مجلسية جماعية تشترك فيها كل الطوائف باتخاذ القرار، انتقل اتخاذ القرار مجدداً من رئيس الجمهورية إلى رئيس مجلس الوزراء، وتمت رشوة بقية الطوائف بأن أشركوها في الحصص ولم يشركوها في القرار، وببساطة تحول جزء من الموارد إلى شريك في الحصة وليس شريكاً في القرار، وكذلك الشيعة والدروز مع تفاوت في حجم الحصص. وهذه هو الشيء غير المعلن، وهو المضمّر الذي يغطي كل صراعات المرحلة، وقد أخذ الصراع هذه الحدة، لأن هناك من قرأ في مرحلة ما ان الطائفة السنية تستطيع أن تأخذ مجالاً أكبر في الحياة السياسية على غرار ما حصل مع المارونية السياسية عشية حرب 1975، ومن هنا اختل الواقع مجدداً في لبنان، لأن كل الطوائف تتشابه بالطموحات والشهوات وهنا يكمن الخطر، لأن الحرب الأهلية تختبئ دائماً هكذا واقع".

وينبه عريجي من خطورة سيادة المنطق الطائفي الذي لا يفسح في المجال أمام ظهور تيارات معتدلة أو وسطية، ويعتبر البحث عن وجود مثل هذه التيارات في ظل النظام الطائفي هو ضرب من الوهم، فبنظره "الطوائفية لا تحتمل الوسطية ولا الاعتدال، وبقدر ما توسع الطوائف من مساحتها تحفظ حصتها في البلد، ويقدر ما يكون السياسي الطائفي بارعاً في إثارة الروح المذهبية في طائفته فإنه يحكم قبضته عليها، وفي ظل النظام الطائفي تندثر المساءلة والمناقشة والمحاسبة، لأن هذه المسائل تخضع للمقدس الطائفي الذي لا يقبل طعناً بأي فرد من أفراد طائفته باعتبار أن الطائفة عنده تساوي الوطن".

وينفي عريجي وجود ديموقراطية في ظل النظام الطائفي "لأن جوهر الديمقراطية هو المساواة والمساءلة والمكاشفة، كما ان ارتباط الديمقراطية بالعلمانية ينتج حقوقاً واحدة للفرد. وهذا ممنوع في ظل

النظام الطائفي، وهكذا ننتقل من هدنة إلى هدنة، إلى أن يأتي الخارج ويحرك البركان الراكد، وبإمكانه ان يحركه ساعة يشاء".

المنطقة تعيش حال ستاتيكو

وعن الأوضاع في المنطقة، قال عريجي "في هذه المرحلة تعيش المنطقة حال ستاتيكو، لكن المشكلة في لبنان أنه لا يستطيع الوقوف طويلا على جمر أزماته المتقدة نارا، فعلى اللبنانيين التحرك وتدارك الآتي من التحديات والأخطار قبل أن تنفخ التطورات المقبلة بهذا الجمر، فلماذا لا يحول اللبنانيون هذه الهدنة إلى طاولة حوار حقيقي حول مسائل مركزية لها علاقة بالملفات الداخلية؟ خاصة على الأقل حسب ما هو معلن انه لم تعد المسألة المركزية أي المقاومة وعلاقة لبنان بسورية مسألة خلافية كبرى، وعلى أساس ان الأطياف الكبرى في البلد حسمت هذا الأمر فيما يتعلق بلبنان وسورية، وفي الموضوع "الإسرائيلي. وحذاري من محاولات البعض توظيف هذا الستاتيكو في حالات انتظارية تراهن على تبدلات لمصلحة هذا البعض، والمطلوب برأينا في ظل هذا الستاتيكو إطلاق ديناميكية اصلاحية توفر استراتيجيا متماسكة صالحة للوقوف بوجه الأعاصير".

وجدد عريجي توصيفه لما يدور في المنطقة بأنه شبيه بالحرب الباردة التي دارت رحاها منتصف القرن الماضي بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأميركية واستمرت ما يقرب الـ50 عاما، مع الإشارة إلى اقتصارها على المنطقة وحلول قوى الممانعة والمقاومة في الإقليم مكان السوفيات، وقال "هذه الحرب الباردة مبنية على نوع من التوازن الردعي، فحرب تموز خلقت هذا التوازن، والموقف الإيراني المتقدم بتبنيه ومشاركته بحمل جزءا من قضيتنا وهدفنا وتطور الموقع التركي القادم من الأطلسي والغرب ليأخذ موقفاً مختلفاً، وتعاضم الدور السوري في العالم العربي، كل ذلك خلق جبهة ممانعة ومقاومة جديدة توجت بمشهدية دمشقية حملت رسالة رائعة، بحضور السيد حسن نصر الله إلى جانب الرئيسين السوري بشار الأسد والإيراني محمود احمدي نجاد، وتواكبت مع التعثر في السياسة الأميركية في العراق، وللأسف من دون أن يسجل انتصار للعرب هناك، لأن العرب لا يملكون مشروعاً في العراق ، ولو امتلكوا المشروع لتحولت هزيمة أميركا إلى نصر قومي وعربي".

وإذ شدد على التنبه واليقظة من العقلية "الإسرائيلية" التي قد تجنح إلى ما يفجر المنطقة، يعتقد عريجي بالحسابات السياسية أن لا حرب عسكرية أميركية أو "إسرائيلية" وشيكة على سوريا أو لبنان، ويرى أن

واشنطن "بعد هزيمتها في أفغانستان والعراق، باتت لا تملك من الحرب ما يحقق سوى أهداف محدودة لا تساوي كلفتها السياسية أو العسكرية، كما أن "إسرائيل" عبر دراستها لأهدافها تجد أن أياً من تلك الأهداف غير قابل للتحقيق. إن ما نسمعه من تهويل سيبقى مستمرا ضد لبنان وسورية، من هنا المطلوب من لبنان القيام بنشاط دبلوماسي فعال لفضح وكشف التهديدات "الإسرائيلية، خصوصاً بما يتعلق بموضوع صواريخ "السكود لإحباط تركيب سيناريو شبيهه بسيناريو اسلحة الدمار الشامل في العراق، والتي ثبت فيما بعد انه كذبة مفضوحة".

الإزمة التي يعيشها الكيان الصهيوني حالياً، ومن وإلى أبعد من هذا، دعا عريجي العرب إلى الإفادة من قدرته على شن الحروب كما في السابق، إضافة إلى تهاوي أعراضها عجزه عن فرض تسوية وعدم حقيقته الإجرامية والإرهابية، وقال "اعتقد عمر وجود هذا الكيان فوق صورته في الخارج وظهورها على المجتمعات جداً، من هنا يبقى ان نرفع دائماً عنوانين، وهما ان الطائفية هي الخطر على أرضنا قصير المدى". "العربية المجتمعات العربية، والصهيونية هي ليست خطراً على الدول العربية فقط، بل هي خطر على